عتاب مع أبي ذؤيب الهذلي

ـ هذيل ...
يمامة تكسر جنحيها .. وتظما في يباب نجد
هذيل ...
أرملة .. تضاجع الاغراب خلف تابوت ابنها القتيل

* * *

ـ وامتشقت سيوفها هذيل
واستوت على خيولها
مرت على دار أميمة .. اشتهت دماءه
فعلقته في نصالها
واقتطعت من فرعها جديله
وعلقتها في مضارب البدو حمامة
واتكأت عـــلى جراحها القبيـله

* * *

ـ هذيل ...
قافلة تجوع في أوائل المسرى وتعرى في ليالي البرد
هذيل ...
غانية نوّر نهداها .. فجفت .. ما استفاقت بعـد

* * *

ـ أبو ذؤيب .. نجمة تكسر حد الافق
يجلس في خبائه .. يشرب قهوة المساء
يجيئه نهر من النساء والاشعار
حامل بضفتيه .. كل حزن الشرق
. . . . . .
وكنت حاملا زجاجة النخوة
طفت .. دارة الخباء حاسرا
لكنما السيوف ... شارات المرور .. البدو
ألقت حجرا في الريح .. أثقلت مجيئها
وشرت فوقها جلدي .. وأقفلت يدي
وشمت بارق القبيلة ... انتظرت ...
حنّيت يديّ منه ...
حنّيت جبين المهر ...
حنّت النساء شعرها ... انتظرت ...
حنّت القبيلة السيوف من دما أميمه ..!

ـ ابا ذؤيب قتلوا اميمه !
ابا ذؤيب قتلوا اميمه ..!
ـ قـومي هم قتلـوا اميم اخـي
فاذا رميت .. يصيبني سهمي
ـ ابا ذؤيب قتلوا أميمه ..!
ـ ولئن عفـوت لأعفـون جلـلا
ولئن وهنت لأوهنن عظمي
ـ ابو ذؤيب علق الشكوى على الجدار سيفا صدئا
حنا رياحه .. ولف حزنه وسادة ... ونام
ـ ابا ذؤيب ...!
ـ قال : قومي ... لست موهنا قومي
ولا مجربا فيهم سهـامي
لست راغبا فـي الرد !
ـ وسدت الطريق فخذيها على الرايات
دست في الرماد الوعد
بينا ابو ذؤيب ظل في خبائه .. معتمرا قبعة الحكمة
لابسا حيـاءه والمجد
وكالزئير أرجف الشفـاه ... أرجف النخيـل
صوت الرعد :
اوهن ابا ذؤيب .. اوهن ابا ذؤيب .. اوهن ...
فما وهن
اغلق دفتر الديون .. سد باب الوجد
وعلق الشكوى على الجدار سيفا صدئا .. ونام

* * *

ـ العربات .. غرّبتني عنكم .. وباعدت
فأنتم أهلي وان شط المزار بيننا
وأنتم دمي الذي استعمرتموه
فلست بالشارب من دمائكم
ولست بالآكل من لحومكم
فربما القت بنا الطريق في مفازه
وربما أعوزني الماء نهلت من دلائكم
وربما .. وربما .. وربما ..
ولتشهد الرياح انى ما أستغبتكم
ولا وطئت ما حفظتموه من نسائكم
فأنتم اهلي وان شط المزار بيننا
ولا كفرت بالقرى
ولا انتهكت ما منعتموه عني
ما سكبت في الرماد قهوة الضيافه
ولا قرعت باب نومة الصباح في جفونكم
فيا عمومتي الذين أسلموني
اذ وضعوا في قدمي القيد .. وعصبوا عيوني
(ها انا ذا من أجلكم .. يدرزني رصاصكم .. يا أيها الحمقى)

* * *

ـ وفي صباح بارد .. كانت يد الاطفال في جيوبهم والمحّ في البيضة والطيور في اعشاشها
وكانت الزوجة في الفراش .. ما تزال ملء حضن زوجها
وكان سنكي بندقية يغوص في عيون (احمد الشهيد) !

* * *

وأسرى .. واسرى .. واسرى
اشاع حديثه فينـا ... وأسرى
وسافر هودجا .. قمرا .. وأسرى
رأيت قبيلتي موتـى ... وأسرى
تورّد وجهـه فيها ... وغاب

* * *

ـ اميمه ..!
جنازة تحملها النساء
لفت الوشاح كالهنود حول وجهها
وطوحت مثل بيوت الحزن
كتبت رقم السجن في ذاكرتي
حملت وجهي وحلا مضيئا
تابعتهن كالهبوب
سرن كالقاتل .. كانت الحانات والدروب ملأى بالدماء

بالسكارى.. بالصفار بائعي السجاير .. انتشلت
صوتي بينهـــم
وصحت كاليتيم :
هذا وطني المطعون بالحنين
والمذبوح من قفاه فوق شاطىء الفرات ظمآنا
والمسلوب في مخافر الحدود
ركضت خلف النعش.. أشرعت يديّ كالطواحين..
الرياح حاصرت صوتي
وألقت جمرة الرجوع في دمي
دافعت عن اميمة القتيل واستبسلت
في المظاهرات
دافعت عنه .. بدقيقة الحداد
والعطل الرسمية التي تعلن في حينه
ونشرّت على النعش بيارق العزاء

* * *

ـ هذيل ..
راهبة حاصرها الزناة في ليلة عيد الفصح
اعطوها جنينا وجهه (٥) حزيران
وفي عينيه ايلول المدمى
وعلى زنديه وشم من سبايا الوطن المحتل
من حلمة ثدي قفزت من خنجر القاتل ...
داستها خيول الجبناء
هذيل
عاهرة.. يطرق بابها اللصوص..والخفير في المساء

* * *

كانت خطى في الريح مشدوهة الفـــم
خلت عـــلى الابـــواب خيطـــا من الدم

* * *

ـ قبل غروب الشمس .. قبل ان تلبس حزنها العقول
كانت الطيور في الطريق نحوكم
وكانت الشباك منكم في انتظارها
وكان ـ لو اردت ـ ان يكون وجهي الصوى
على الطريق والعلامه
وكانت الرياح لوحتني مرة
وشرّعت جدائلي تميمة
لكنما دمي .. نشيدي العتيق .. ثدي أمي
قبلة الوداع .. قريتي .. دفاتري
سكبن فوق وجدي النعاس ساعة الذكرى.. ونمت
وظلت الطيور في الطريق نحوكم
وظلت الشباك في انتظارها

* * *

لم تأت.. ما ابطاك من غاضب الجرح
ازهرت فوق الزاب رأســـا عـــلى رمـــح

* * *

ـ لم افصح
لم افصح .. لم افصح .. لم افصح
ما زال غموضي نفقا للحزن وغمـــدا يلبسه سيف
الكلمات

قل يا وطني ..!
قل يا وطني ..!
هل اثقب صوتي كي تتساقط منه الكلمات الممنوعه
ذلك ان الحجاج يقايض جلاديّ شواء لساني
قل يا وطني
هل أنفخ حزني في رئة الوطن المقتول لاسمعه قلقي
من .. ذا يحمل راية حزني
ما دام الصوت بحنجرتي يفعي .. يتخثر زمنا ..
تصبح حنجرتي مشجب اصوات
يصبح صوتي بعد سنين حجرا .. وهتافا للرجم
من .. ذا يحمل راية حزني ؟
الملك الضليل على نهر الاردن ام (شمر) الواقف
بالبدو على ضفة الماء ؟
أم هذا العابر نحو الاعداء ... أخي
حين رمى رشاشته في النهر
وبكى حزن الوطن المقتول بأسياف الابناء اللقطاء ؟
من .. ذا يحمل راية حزني ؟
زاحمت النسوة في السوق
وصحبت مرارا ندابات الموتى
وبكيت القتلى غير المندوبين
المهجورين بلا احباب او ذكرى
من ذا يحمل راية حزني ؟
رافقت فرار الجندي الهارب من جيش
هزم القادة فيه فألقوا أنفسهم تعبى فوق كراسي الحكم
بينا ظلت سيناء امرأة
يفتض بكارتها في الصبح الاعداء
وفي الليل الاهل
جالست الشحاذين على ارصفة الوطن الجائع
ورسمت على طاولة المقهى حزني .. وشعاراتي ..
وبكائي الشرقي
اسهمت مع الرجامين بمكة لم يبق سوى حجـري
هذا .. فاحترسوا
فسأرشق فيه اعلى مئذنة فيكم
فبكفي هذي ...
ياما عصّرت نهود النسوة في بيروت
وياما قامرت على خبز الفقراء
وسرقت بساتين العينين الخضراوين ..
وأموال الايتام
وقرعت دفوف الفجر المشبوهين
اذ اني وبكفي هذي
سأصافح جزار القرية في عمان
وسأصفع فيها وجه الوطن المحتل
من ذا يحمل راية حزني ؟
اسأل .. اسأل .. اسأل ....
من ذا يحمل راية حزني ؟
من ذا يحمل راية حزني ؟
قومي ؟!
قومي هم قتلوا اميـــم اخـــي
فاذا رميت يصيبني سهمـــي
ولئن عفـــوت لأعفون (جزعا)
ولئن وهنت لأوهنـــن عظمي
قومي ... بلى .. قومي

كربلاء ـ العراق — **محمد علي الخفاجي**

(●) القصيدة تقوم على مزج بين الرواة والرواية .
(●) القيت في مهرجان النجف الشعري بتاريخ ٢٠ ـ ٨ ـ ٧١
وفي اتحـــاد الادباء العراقيين بتاريخ ٣ ـ ١١ ـ ٧١